## السَّنة السَّبعون بعد المئة

فيها توفِّي موسى الهادي وولي هارونُ الرشيد.

## البابُ الخامسُ في خلافته

وكُنيته أبو جعفر، وقيل: أبو موسى، وقيل: أبو محمَّد، وُلد سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة، وقيل: سنةَ ثمانٍ وأربعين، وقيل: سنة تسعٍ وأربعين ومئة، وقيل: سنة ستٍّ وأربعين، أو سنةَ خمسين[1] ومئة.

ووُلد الفضل بنُ يحيى قبله بتسعة أيام أو ثمانيةٍ في ذي الحِجَّة، وولد هارونُ أولَ يوم من المحرَّم، فأرضعته أمُّ الفضل، وهي زينبُ بنت منير، وفي ذلك يقول سَلْمٌ[2] الخاسر: [من الخفيف]

أَصبح الفضلُ والخليفةُ هارو ... نُ رضيعَي لِبان خيرِ النساءِ
لا يضلُّ الساري بغير دليلٍ ... وبنو بَرْمكٍ نجومُ السماء

وأَرضعت الخَيزُران الفضلَ بلِبان هارون، وكان مولدُه بالرَّي، وأمُّه وأمُّ الهادي الخَيزُران، وفيها يقول مروانُ بن أبي حفصة: [من الكامل]

يا خَيزُرانُ هَنَاكِ ثم هَنَاكِ ... أَمسى يسوس العالمين ابناكِ[3]

فنهاه هارونُ وقال: لا تذكرْ أمِّي بخيرٍ ولا بشرّ.

وولي هارونُ الخلافةَ وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة، وهذا يؤيِّد قولَه: أنَّه ولد في سنة تسعٍ وأربعين في خلافة المنصورِ لثلاثٍ بقين من ذي الحِجَّة، وبويع يومَ الجمعة ببغدادَ صبيحةَ اليومِ الذي توفِّي فيه الهادي، وقيل: ليلةَ الجمعة، وقيل: ليلة السبتِ لأربعَ عشرةَ بقيت من ربيعٍ الأوَّل.

---

(١) في (خ): خمس. والمثبت من المنتظم ٨/ ٣١٨.

(٢) في (خ): سالم، وهو خطأ، والمثبت من الكامل ٥/ ٥٨٦.

(٣) لم نقف عليه في الديوان، والبيت في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢٣، ومروج الذهب ٦/ ٢٦٩ منسوباً لأبي المعافى، وهو في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٦ دون نسبة.

وقال سليمانُ بن أبي شيخ: لما كانت الليلةُ التي توفِّي فيها الهادي، أخرج هرثمةُ بن أَعيَنَ هارونَ ليلاً فأَقعده في مرتبة الخلافة، ودعا هارونُ بيحيى بنِ خالد، وكان محبوساً في حبس الهادي، وقد عزم على قتله وقتلِ هارونَ في تلك الليلة، فحضر يحيى، فاستوزره وأمره بإنشاء الكتبِ بالبَيعة إلى الآفاق.

وقال محمدُ بن هشامٍ المخزومي: لَمَّا مات الهادي، جاء يحيى بنُ خالدٍ إلى هارونَ وهو نائمٌ في فراشه في لحافٍ بغير إزار، فقال له: قُم يا أميرَ المؤمنين، فقال له هارون: كم تروِّعني إعجاباً منك بخلافتي وقد علمتَ حالي عند هذا الرجل! فإنْ بلغه هذا فكيف يكون حالي عنده؟! فقال: مات أخوك، وهذا خاتمُه، فقام ولبس ثيابَه وقال: واللهِ لا صليتُ الظهرَ إلا ببغداد، وكان بعيساباذ، فصلَّى على الهادي، وقدَّم أبا عِصمةَ فضرب عنقَه، وكان يؤذيه عند الهادي، ودخل بغدادَ الظهرَ ورأسُ أبي عصمةَ بين يديه على قناة.

فمن جملة ما آذاه به أن هارونَ ركب يوماً هو وجعفرُ بن موسى الهادي وأبو عصمةَ معهما، فاجتاز بقنطرةٍ من قناطر عيساباذ، فالتفت أبو عصمةَ إلى هارونَ فقال له: مكانَك حتى يعبرَ وليُّ العهد، فقال هارون: السمعُ والطاعةُ للأمير، ووقف حتى عَبَرَ جعفر. ولما وصل هارونُ إلى كرسيِّ الجسرِ ببغدادَ دعا بالغوَّاصين، وقال: كان المهديُّ قد وهب لي خاتَماً شراؤه مئةُ ألف دينار يسمَّى الجبل، فدخلتُ على أخي موسى وهو في يدي، فلمَّا خرجتُ من عنده لحقني سليمٌ الأسود عند هذا المكانِ وقال: يأمرك أميرُ المؤمنين أن تعطيَه هذا الخاتَم، فرميتُ به في هذا المكان، ووقف حتى نزل الغوَّاصون فغاصوا ساعةً وأخرجوه، فسُرَّ به سروراً عظيماً وقال: هذا أولُ البِشارة.

وقال محمدُ بن إسحاقَ الهاشمي: كان الهادي قد خلع الرشيدَ وبايع لابنه جعفر، فلمَّا مات الهادي، هجم خزيمةُ بن خازمٍ في تلك الليلةِ في مواليه وجندِه على جعفر بنِ موسى فأَخرجه من فراشه وقال: واللهِ لئن لم تخلعْ نفسَك لأضربنَّ عنقَك، وشهر عليه السَّيف، ولَمَّا كان من الغد أقامه في علِّية على باب القصر، فجعل ينادي: أيُّها الناس، مَن كانت له في عنقي بَيعةٌ فقد أَحللتُه منها، والخلافةُ لعمِّي هارون، ولا حقَّ لي فيها.

فحظي خزيمةُ بذلك عند الرشيد، ولَمَّا مات الهادي لم يعلم بموته أحدٌ غيرُ أمِّه الخَيزُران، فأرسلت بخاتمه إلى يحيى بنِ خالد سرًّا وقالت: قد أراح اللهُ من الجبَّار، فجاء إلى هارونَ وهو نائمٌ فأيقظه، وكان هارونُ أبيضَ طُوالاً جسيماً جميلاً وسيماً جَعْداً، لم يمت حتى وخطه الشَّيب، وكان به حَوَلٌ في فردِ عينٍ لا يبين إلَّا لمن تأمَّله.

وكان ساخطاً على إبراهيمَ بن ذكوانَ الحرَّاني وسلَّامٍ الأبرش، فأمر بحبسهما وقبضِ أموالهما، فحُبس إبراهيمُ عند يحيى بنِ خالد في داره، فكلَّمه فيه محمدُ بن سليمانَ بن عليٍّ وسأله فيه، وأن ينحدرَ به معه إلى البصرة، فأجابه إلى ذلك.

وفي هذه الليلةِ التي مات فيها الهادي وُلد المأمون. وفي اليوم الذي بويع فيه هارونُ سلَّم عليه بالخلافة جماعةٌ من عمومته، فقال له عبدُ الصمد بنُ علي: هذا مجلسٌ فيه أميرُ المؤمنين وعمُّه وعمُّ أبيه وعمُّ عمِّ عمِّه؛ لأنَّ سليمانَ ابنُ أبي جعفر، والعباسَ بنَ محمدِ بن عليٍّ هو عمُّ المهدي، وعبدَ الصمد بنَ عليٍّ عمُّ المنصور، فسليمانُ عمُّ الرشيد، والعباس عمُّ سليمان، وعبدُ الصمد عمُّ العباس.

وفيها عزل الرشيدُ عمرَ بن عبدِ العزيز العُمريَّ عن المدينة وولَّاها إسحاقَ بن سليمانَ بنِ عليّ.

وفيها فوَّض الرشيدُ أمورَ الخلافة إلى يحيى بنِ خالد وقال: لقد قلَّدتك أمورَ الرعيَّة وأَخرجتها من عنقي، فولِّ مَن رأيت، واعزل مَن رأيت، وافعل ما تراه. وسلَّم إليه خاتمَ الخلافة، فقال الشاعر[1]: [من الطويل]

ألم ترَ أنَّ الشمسَ كانت سقيمةً ... فلمَّا وليْ هارونُ أَشرق نورُها
بيُمْن أمينِ الله هارونَ ذي النَّدى ... فهارونُ واليها ويحيى وزيرها

وكان الهادي قد حجر على الخَيزُران، فردَّها الرشيدُ إلى ما كانت عليه وزادها، وكان يحيى بنُ خالدٍ يشاورها في الأمور ويَصْدُر عن رأيها.

وفيها فرَّق هارونُ في أعمامه وأهلِه أموالاً لم يفرِّقها غيرُه من الخلفاء، وأمر بسهم ذي القُربى أن يقسمَ بين بني هاشمٍ بالسويَّة.

(١) هو إبراهيم الموصلي كما في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢٣، والكامل ٦/ ١٠٨.

وفيها خرج من الطالبيين إبراهيمُ بن إسماعيل، ويقال له: طباطَبا، وخرج أيضاً عليُّ ابن الحسن بنِ إبراهيمَ بن عبد اللهِ بن حسن.

وحجَّ الرشيدُ بالناس ماشياً يمشي على اللُّبُود، كانت تُبسط له من منزلٍ إلى منزل، وسببُ مشيه أنَّه رأى رسولَ اللهِ ﷺ في المنام فقال: يا هارون، إنَّ هذا الأمرَ صائرٌ إليك، فحجَّ ماشياً، واغزُ، ووسِّع على أهل الحَرَمين، فأنفق فيهم أموالاً عظيمة.

وقيل: كان الهادي قد أحلفه لابنه جعفرٍ أيماناً معظَّمة من الطلاق والعتاق والحجِّ ماشياً، ولم يحجَّ خليفةٌ قبلَه ولا بعده ماشياً، ولا حجَّ بعده خليفةٌ أبداً.

وغزا في هذه السَّنة، فقال داودُ الواسطي: [من الطويل]

بهارونَ لاح النورُ في كلِّ بلدةٍ ... وقام بها في عَدْل سيرتِه النَّهجُ
إمامٌ بذات اللهِ أصبح شغلُه ... وأكثرُ ما يُعنَى به الغزوُ والحجُّ
فإنَّ أمينَ اللهِ هارونَ ذا[1] النَّدى ... يُنيل الذي يرجوه أضعافَ ما يرجو

وقيل: إن الحَجَّة التي مشى فيها سنةَ سبعٍ وسبعين ومئة.

فصل وفيها توفِّيت

## جوهرةُ[2] العابدةُ الزاهدة

زوجةُ أبي عبدِ الله البَرَاثيِّ الزاهد. وكان أبو عبدِ الله منقطعاً بقرية بَرَاثا غربيَّ بغداد، فمرَّت به جوهرةُ وكانت من بنات الملوك، فأعجبها حُسنُ عبادته، فتركت الدنيا وتزوَّجتْه.

قال حكيمُ بن جعفر: كنا نأتي أبا عبدِ الله البَرَاثي ببراثا، وكانت له امرأةٌ متعبِّدة يقال لها: جوهرة، وكان يجلس على جُلَّة خوصٍ وجوهرةُ جالسةٌ حذاءه على مثلها، فأتيناه يوماً وهو جالسٌ على الأرض، فقلنا: ما فعلت الجُلَّة؟ فقال: إنَّ جوهرةَ أيقظتني البارحةَ فقالت: أليس يُقال في الحديث: إنَّ الأرض تقول لابن آدم: تجعلُ بيني وبينك سِتراً وأنت غداً في بطني! قلت: نعم، فقالت: هذه الجِلَالُ لا حاجةَ لنا فيها،

(١) في (خ): ذي، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٤.

(٢) كذا في المنتظم ٨/ ٣٣١، وصفة الصفوة ٢/ ٥٢١، وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٥٨١ ـ ٥٨٢ و٦٢٣ : جوهر.

فأخرجتها.

وقال: رأت جوهرةُ في منامها خياماً مضروبة، فقالت: لمن ضُربت هذه الخيام؟ فقيل: للمتهجِّدين بالقرآن. فكانت بعد ذلك لا تنام اللَّيل.

وقال: قالت لي جوهرة: يا أبا عبدِ الله، أَيُحلَّين نساءُ الجنَّة في الجنة؟ [قلت: نعم][1] فصاحت ووقعت مغشيةً عليها، فلمَّا أفاقت قلتُ: ما أصابك؟ قالت: ذكرتُ حالي تلك وما قد كنت نلتُ من الدنيا، فخشيت واللهِ حرمانَ الآخرة.

## طُرَيح بن إسماعيل

ابن عُبيد بن عِلَاج[2]، أبو الصَّلت الثَّقفي، شاعرٌ مجيد مُكثِر، أَدرك الدولتين، وكان المنصورُ مغرًى بقصيدته الداليةِ التي أوَّلها: [من المنسرح]

أَقفر مِمَّن يَحلُّه السَّنَدُ ... فالمنحنى فالعقيقُ فالجَنَدُ[3]

لم يبقَ فيها من المعارف بعـ ... ـدَ الحيِّ إلَّا الرمادُ والوَتِدُ

وعَرْصةٌ نكَّرت معارفَها الر ... ـيحُ بها مسجدٌ ومُنتضَد

لم أَنسَ سلمى ولا لياليَنا ... بالحَزْن إذ عيشنا به رَغَد

قد كنتُ أبكي من الفِراق وحَيـ ... ـيانا جميعٌ ودارُنا صَدَد

فكيف صبري وقد تجاورَ[4] بالـ ... ـفُرقة فيها الغرابُ والصُّرَد

إذ نحن في مَيعة الشبابِ وإذ ... أيامُنا منك غضَّةٌ جُدُد

أنت إمامُ الهدى [الذي][5] أَصلح اللَّـ ... ـهُ به الناسَ بعدما فسدوا

لَمَّا أتى الناسَ أنَّ مُلكَهمُ ... إليك قد صار أمرُه سجدوا

---

(١) ما بين حاصرتين من صفة الصفوة ٢/ ٥٢١.

(٢) في المصادر: ابن أسيد بن علاج. انظر الأغاني ٤/ ٣٠٢، ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٢، والأعلام. وفي تاريخ دمشق ٨/ ٥٠٦ (مخطوط): طريح بن إسماعيل بن سعيد بن عبيد بن أسيد بن عمرو بن علاج. وفيه أيضاً ٨/ ٥٠٧ : بقي إلى أول الدولة العباسية ومدح السفاح والمنصور. وفي معجم الأدباء: مات في أيام المهدي سنة خمس وستين ومئة. فإيراد ترجمته هنا وهم. وانظر رغبة الآمل ٦/ ١٠٤، والأعلام.

(٣) في الأغاني ٤/ ٣٢١ : فالجمد، وفي تاريخ دمشق ٨/ ٥٠٩ : ما يجمد.وانظر معجم البلدان (جمد) (جند).

(٤) في الأغاني وتاريخ دمشق: تجاوب.

(٥) ما بين حاصرتين من الأغاني.

وعجَّ بالحمد أهلُ أرضِك حتـ ـتى كاد يهتزُّ فرحةً أُحُد
واستقبل الناسُ عِيشةً رَغَداً إن تبقَ فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزقتَ من وُدِّهم وطاعتِهمْ ما لم يجدْه لوالدٍ وَلَد
كنتُ أرى أن ما وجدتُ من الـ ـفرحةِ لم يلقَ مثلَه أَحَد
حتى رأيتُ العبادَ كلَّهمُ قد وجدوا مثلَ ما له أَجِد
قد صدَّق اللهُ مادحيك فما في قولهمْ مِريةٌ ولا فَنَد

من أبيات.

## فَتْحُ بن محمدِ بن وِشاح

أبو محمد، الأَزْديُّ الموصلي، الزاهدُ العابد.

قال محمدُ بن الوليد: سمعتُ فتحاً الموصليَّ الأزديَّ يقول في جوف الليل: ربِّ أَجعتَني وأَعريتني، وفي ظُلَم الليل أَحبستني، فبأيِّ وسيلةٍ أتوسَّل إليك حيث أكرمتَني بهذه الكرامة. فكان يبكي ساعةً ويفرح ساعة[1].

وقال المعافى بنُ عمرانَ الموصلي: دخلتُ على فَتْح، فرأيتُه قاعداً في الشمس وصبيَّةٌ له عُريانةٌ وابنٌ له مريض، فقلت: ائذنْ لي حتى أكسوَ هذه الصبيَّة، قال: لا، قلت: ولِم؟ قال: دعْها حتى يرى اللهُ ضرَّها وصبري عليها فيرحمني. قلت: فدعْني أَستدين ما أُنفقه على هذا المريض، قال: لا، اذهبْ فاجلس عند رأسِه واسمعْ ما يقول. فجلستُ عند رأسِه وقلت: حبيبي، ألا تشتهي شيئاً حتى أَحملَه إليك؟ فرفع رأسَه إلى السماء وقال: منِّي الصبرُ ومنك البلاء.

وقال أبو غسَّان المؤذِّن[2]: خرجنا حجَّاجاً، فأردنا غسلَ ثيابنا بمكَّة، فأُرشدنا إلى رجلٍ من أهل فارسَ له صلاحٌ يغسل ثيابَ الغرباءِ والفقراءِ بغير أجر، فأتيناه، فقال:

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٨١. وقريب من هذا الكلام مذكور في ترجمة فتح بن سعيد الموصلي أبي نصر، المتوفى سنة ٢٢٠، وسيذكره المصنف آخر الترجمة، وانظر حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٦١، والسير ١٠/ ٤٨٤.

(٢) في (خ): المؤدب، والمثبت من كتاب الأولياء ص٢٦، وصفة الصفوة ٤/ ١٨٢.

مِمَّن أنتم؟ فقلنا: من أهل الموصل، فقال: أتعرفون فَتْحاً؟ قلنا: نعم، قال: ما فعل؟ قلنا: مات. فتوجَّع وبكى وأظهر الحزنَ عليه. قلنا: من أين تعرفه وأنت من فارسَ وهو من الموصل؟! فقال: وُصف لي، ورأيتُ في منامي عدَّة ليال: ائتِ فتحاً فإنَّه من أهل الجنة، فخرجتُ من فارسَ وأتيت الموصل، فسألت عنه فقيل: هو على الشَّطّ، فأتيته، فإذا رجلٌ ملتفٌّ على الشطِّ بكِسائه وقد ألقى شِصَّا[1] له في الماء، فسلَّمت عليه، فردَّ عليّ، فقلت له: أتيتك زائراً، فلفَّ الشصَّ وقام، فدخلنا المسجدَ وغربت الشمس، وصلَّينا، وتفرَّق الناس، فأُتي بطعام، فأكلنا، ثم نودي بالعِشاءِ الآخرة، فصلَّينا وتفرَّق الناس، وقام فَتْحٌ إلى صلاته، ورميتُ بنفسي على الأرض، وإذا برجلٍ قد دخل المسجد فسلَّم وصلَّى ركعتين، وقعد إلى جانب فتحٍ وساءله وقال: متى عهدُك بأبي السَّري؟ قال: ما لي به عهدٌ منذ أيام، فقال: قمْ بنا إليه فإنه معتلّ. قال: فخرجا من المسجد وأنا أَنظر إليهما، فمضيا إلى دِجلةَ يمشيان على الماء، وقعدتُ أنتظر رجوعَهما، فلما كان في آخر الليلِ عاد فتحٌ وحده، فسبقته ودخلت المسجدَ ورميتُ بنفسي على الأرض كأنِّي نائم، فلما أَسفر الفجرُ صلَّينا وتفرَّق الناس، فقمتُ إليه وقلت: يا أبا محمد، قد قضيتُ من زيارتك وَطَراً، وقد رأيتُ الرجلَ الذي أتاك البارحةَ وما كان منكما، فأخذ يعارضني، فلمَّا علم أني قد علمتُ الخبرَ، أخذ عليَّ العهودَ ألَّا أُعلِمَ بذلك أحداً وهو حيّ. قلت: فمَن كان الرجل؟ قال: الخَضِر عليه السلام. قلت: ومَن أبو السَّري؟ قال: حمزةُ الخَولاني، وهو رجلٌ صالح في هذه القرية.

وهما فَتْحانِ مَوصليَّان، فصاحبُ هذه الترجمة مات في هذه السَّنة، وفتحُ بن سعيدٍ أبو نصرٍ الكاري هو صاحبُ الحكاياتِ والإشارات، مات في سنة عشرين ومئتين، وسنذكره هناك إن شاءَ اللهُ تعالى.

## موسى الهادي إلى الله

**ابنُ محمدٍ المهديِّ بنِ أبي جعفرٍ المنصور. وكان شرسَ الأخلاق، غَيوراً صعبَ**

(١) الشص: حديدة عقفاء يصاد بها السمك. القاموس المحيط (شصص).

المرام، شجاعاً، فيه شهامةٌ شديدة وقلَّة احتمالٍ وسوءُ ظن، مُشرباً حُمرة، في شفته العليا تقلُّص يفتح له فاه، وكان شديداً، يلبس دِرعَين، ويثب على أعلى فرسٍ يكون ولا يُمسك بيديه شيئاً، ولم يلِ الخلافةَ في سِنِّه أحد، كان حَدَثاً.

**ذِكرُ طَرَفٍ من أخباره:**

قال المطَّلب بن عكاشةَ المُزَني: قدمنا على الهادي في شهادةٍ على رجلٍ شتم قرشيًّا وتخطَّى إلى ذِكر رسولِ الله ﷺ، فجلس مجلساً أَحضر فيه علماءَ أهلِ زمانه، وأَحضر الرجل، فشهدنا عليه بما سمعنا منه، فتغيَّر وجهُ الهادي ونكس رأسَه، ثم رفعه وقال: سمعتُ المهديَّ يحدِّث عن أبيه المنصور، عن أبيه محمدِ بن علي، عن أبيه عليّ، عن أبيه عبدِ الله بن عباسٍ قال: «مَن أراد هوانَ قريشٍ أهانه اللهُ تعالى»، وأنت يا عدوَّ الله لم ترضَ بأن أردتَ ذلك من قريشٍ حتى تخطَّيتَ[1] إلى ذِكر رسولِ الله ﷺ! اضربوا عُنقَه، فقتلوه.

وغضب الهادي على رجل، فكلِّم[2] فيه، فرضي عنه، فأخذ يعتذر، فقال له الهادي: قد كفاك الرِّضا مؤونةَ الاعتذار.

ودخل مروانُ بن أبي حفصةَ على الهادي، فأنشده حتى بلغ إلى قوله: [من الطويل]

تشابَه يوما بؤسِه ونَوالِه ... فما أحدٌ يدري لأيِّهما الفضلُ[3]

فقال له الهادي: أيُّما أحبُّ إليك: ثلاثون ألفاً معجَّلةً أو مئةُ ألف تدوَّر في الدواوين؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنك تُحسن أحسنَ من هذا، ولكنك أُنسيتَه، أفتأذن لي أن أذكِّرَك؟ قال: نعم، قال: تعجِّل الثلاثين الألف وتدوِّر المئةَ الألف في الدواوين، فقال: لا، بل نجعل لك الجميعَ معجَّلاً، فحمل إليه المال.

وقال السِّندي بنُ شاهك: كنت مع الهادي بجُرجانَ وقد جاءه نعيُ المهدي، فسار على البريد وسرنا معه، فلمَّا فصلنا عن بيوت جرجانَ سمع من بعض تلك البساتينِ رجلاً يتغنَّى، فقال لصاحب شُرطته: عليَّ بالرجل الساعة، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ما

(١) في (خ): تخطات. والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ٩.

(٢) في (خ): فتكلم، والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ٩.

(٣) الديوان ص٨٥.

أشبهَ هذا بقصَّة جرت لسليمانَ بنِ عبد الملك، قال: وما هي؟ قلت: كان جالساً يوماً مع حرمه، فسمع صوتَ إنسان يتغنَّى، فدعاه وقال: ما حملك على الغناءِ وأنت إلى جنبي ومعي حرمي؟ أما علمتَ أن الرِّماك[١] إذا سمعت صوتَ الفحلِ استودقت[٢] ؟! ثم أمر به فجُبّ، فلمَّا كان في العام القابل، خرج سليمانُ إلى ذلك المكان يتنزَّه، فذكر الرَّجل، فقال: عليَّ به، فلمَّا حضر بين يديه رقَّ له، فقال: إمَّا بعتَ فوفيناك، أو سامحتَ فكافيناك، فقال: يا سليمان، اللهُ بيني وبينك، قطعتَ نسلي، وأَذهبتَ ماءَ وجهي، لا واللهِ لا ذا ولا ذاك، حتى أقفَ أنا وأنت غداً بين يدي اللهِ تعالى فيقتصَّ لي منك، فوجم سليمانُ نادماً. فصاح الهادي بصاحب شُرطته: دع الرجلَ لا تُزعجه، لا حاجةَ لنا إليه.

وقال عليُّ بن صالح: ركب الهادي يوماً يريد عيادةَ الخَيزُران من مرضٍ كان بها، فاعترضه عمرُ بن بزيعٍ وقال: يا أميرَ المؤمنين، ألا أدلُّك على وجهٍ هو أعودُ عليك من هذا؟ قال: وما هو يا عمر؟ قال: المظالمُ لم تنظرْ فيها منذ ثلاثةِ أيام، فمال إلى ردِّ المظالم، وبعث خادماً إلى أمِّه يقول: إن عمرَ بن بزيع أَخبرنا من حقِّ اللهِ ما هو أَوجبُ علينا من حقِّك، فمِلْنا إليه، ونحن غداً عائدون إليكِ إن شاء اللهُ تعالى.

ودخل عليه إبراهيمُ الحرانيُّ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ العامَّة لا تتقارُّ على هذا. قال: وما هو؟ قال: لم تنظرْ في المظالم منذ ثلاث. قال عليُّ بن صالح: وكنتُ قائماً على رأسه وأنا غلام، فقال: يا عليّ، اخرج فائذن للناس بالدُّخول عليّ، للحَفَلَى لا للنَّقَرَى. فخرجت ولم أفهمْ كلامَه، فقلت: أَرجع إليه فأسأله فيقول: أَتحجبني ولا تفهمُ كلامي؟ فأرسلتُ إلى أعرابيٍّ وفد علينا، فساءلتُه فقال: الحَفَلى حُفالةُ الناس، والنَّقَرى خواصُّهم. فأذنتُ للناس، فدخلوا عن آخرهم، فنظر في المظالم إلى الليل، فلما تقوَّض المجلسُ قال لي: خطر في خاطري كذا وكذا، فأخبرتُه وحدَّثته بحديث الأعرابي، فعجب وقال: مئةُ ألفِ درهمٍ تُحمَل إليه، فقلت: إنه أعرابيٌّ جِلْف، وفي عشرة آلافٍ ما يُغنيه ويكفيه، فقال: أَجودٌ أنا وتبخل أنت؟

---

(١) جمع رَمَكة، وهي الأنثى من البراذين. مختار الصحاح (رمك).

(٢) أي: أرادت الفحل. القاموس المحيط (ودق).

وقال عبدُ الله بن مالك: كنت أتولَّى شرطةَ المهدي، وكان يأمرني بضرب ندماءِ الهادي وحبسِهم صيانةً له عنهم، وكان الهادي يُرسل إليَّ يسألني فيهم فلا أَلتفت إليه، فلمَّا ولي الخلافةَ أَيقنتُ بالتَّلف، فأرسل إليَّ يوماً، فدخلتُ عليه وهو جالس على كرسيٍّ وبيده السَّيف، وبين يديه النِّطع، فسلَّمت عليه، فقال: لا سلَّم اللهُ عليك، أَتذكر يوم شفعتُ إليك في فلانٍ وفلان فلم تلتفتْ في أمري؟ قلت: نعم، أَيسرُّك أن تولِّيَني ما ولَّاني أبوك فيبعث إليَّ بعضُ ولدِك بأمرٍ يخالف أمرَك أن أتبعَه وأعصيَك؟ قال: لا، قلت: فكذا أنا لك، وكذا كنتُ لأبيك، فاستدناني، فقبَّلت يده ومضيتُ إلى منزلي، وأفكرت في أمره فقلت: شابٌّ حَدَث، وفي قلب ندمائه منِّي ما فيه، فكأنِّي بهم إذا غلب عليه الشرابُ قد أَزالوه عن رأيه وحملوه على قتلي، فبينا أنا جالسٌ وبين يديَّ بُنيَّة لي، وعندي كانون وخبز رُقاق وأنا أَشطره بكامَخ[1] وأُسخنه وأُطعمه الصَّبية، وإذا بحوافر الخيلِ وكثرةِ الغَوغاء، فقلت: وافاني اللهُ بما كنت أتخوَّفه، وإذا بالباب قد فُتح ودخل الخَدَم والشمعُ بين أيديهم، وإذا بالهادي راكبٌ على حمارٍ بينهم، فقمت وقبَّلت حافرَ الحمارِ ووقعتُ على يديه ورِجليه أقبِّلهما، فنزل وقعد وأَخذ يأكل من الكامَخ والخبز، ثم قال: يا عبدَ الله، فكَّرت في أمرك البارحةَ، وخطر لي ما خطر لك أني إذا أخذ مني الشرابُ وحولي أعداؤك يقولون ما أَوحشك، وها قد أتيتُ إلى منزلك وتحرَّمت بطعامك لترك وحشتِك، فقبَّلت يدَه، فالتفت إلى الخَدَم وقال: هاتمُ الزَّلَّةَ[2] التي زللتُها لعبد الله، فأَحضروا أربعةَ أَبغُل موقورةٍ دراهم، وقال: هذه زلَّتك، فاستعنْ بها على أمرك، فدعوتُ له.

وقال للفضل بنِ الربيع: لا تحجبْ عني الناس؛ فإنَّ ذلك يُزيل عني التزكية، ولا تُلقِ إليَّ أمراً إذا كشفته وجدته باطلاً؛ فإن ذلك يوهن الملكَ ويضرُّ بالرَّعية.

ومات ابنٌ لإبراهيمَ بن سالمِ بن قتيبة، وكان صاحبَ المرتبة عند الهادي، فجاء إليه يعزِّيه وهو راكبٌ على حمارٍ أَشهب، فنزل في رُواقه وقال: يا إبراهيم، سرَّك وهو عدوٌّ وفتنة، وساءَك وهو صلاةٌ ورحمة. فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما بقي مني جزءٌ كان فيه

(١) الكامخ: الذي يؤتدم به، معرب. مختار الصحاح (كمخ).

(٢) الزلة: الصنيعة. القاموس المحيط (زلل).

حزنٌ إلا وقد امتلأ عزاءً.

وقال يقطين بنُ موسى: إني لواقفٌ على رأسه ليلةً وعنده ندماؤه، إذ أتاه خادم فسارَّه بشيء، فنهض سريعاً وقال: لا تبرحوا، ثم عاد ومعه خادمٌ يحمل طبقاً مغطًّى بمنديل، وكشفه فإذا فيه رأسا جاريتَين لم أرَ في الدنيا أحسنَ منهما ولا أطولَ من شعورهما، وعلى رؤوسهما الجوهرُ منظوم، وإذا برائحةٍ طيبة تفوح، فأَعظمَ الحاضرون ذلك، فقال: تدرون ما شأنُهما؟ قالوا: لا، قال: بلغنا أنَّهما تَتَحابيان على المعصية، فوكَّلت بهما هذا الخادمَ يُنهي إليَّ أخبارَهما، فجاء فأخبرني أنَّهما قد اجتمعتا، فجئتُ فوجدتهما في لحافٍ واحد على الفاحشة، يا غلام، اذهب فادفنهما، ثم رجع إلى حديثه كأنه لم يصنعْ شيئاً.

وقد مدحه سَلْم الخاسر فقال: [من البسيط]

تخفَى الملوكُ لموسى عند طلعتِه ... مثلَ النجومِ لقَرن الشمس إذ طلعا

وليس خَلقٌ يرى موسى[1] وطلعتَه ... من البريَّة إلا ذلَّ أو خضعا

وقال موسى بنُ سعيد: كان أبي يساير الهاديَ وعبدُ الله بنُ مالك الخزاعيُّ صاحبُ شرطته يمشي بين يديه بالحَربة، فكان كلَّما وضعها على الأرض أَثارت تراباً، فتحمله الريحُ إلى وجه الهادي، فقال لأبي: ما ترى ما نلقى من ابن مالك؟ فقال أبي: واللهِ ما أَخطأ الصواب، ولكنه حُرم التوفيق؛ لأنَّه لم يعلمْ بوصول الترابِ إلى وجه أميرِ المؤمنين، وقال الهادي: [من السريع]

لم يُخطِ عبدُ الله في فعله ... لكنَّه فارق توفيقَه

قد وضح العُذرُ فأَبلغه يا ... خيرَ الورى في دنبه ريقه[2]

وقال سعيدُ بن مسلم: صلَّى بنا الهادي فأُرتج عليه، فهِبناه أن نفتحَ عليه، فقرأ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] ففتحنا عليه.

وقال محمدُ بن يزيدَ بن عمرَ بن عبدِ العزيز: خرجتُ مع الهادي إلى جُرجان،

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢٥: يرى بدراً.

(٢) كذا في (خ)، ولم نقف للبيت على مصدر.

فقال: يا محمد، إمَّا أن تحملَني وإما أن أحملَك، فعلمتُ مرادَه، فأنشدتُه أبياتَ ابنِ صِرمةَ الأنصاري: [من الطويل]

فأُوصيكمُ[1] بالله أوَّلَ وهلةٍ ... وأحسابِكمْ والبرّ بالله أوَّلُ
فإنْ قومُكمْ سادوا فلا تحسدوهمُ ... وإنْ كنتمُ أهل السعادةِ[2] فاعدلوا
وإنْ أنتمُ أعوزتمُ فتعفَّفوا ... وإنْ كان فضلُ المالِ فيكم فأَفضِلوا

فأَمر لي بعشرين ألفَ درهم.

ودخل على الهادي عُلَيَّان الموسوس وبُهلول، فقال الهادي لعُليان: أَيشٍ معنى عُلَيَّان؟ فقال عُليان: فأَيشٍ معنى موسى؟ فقال: جرُّوا برِجله ابنَ الفاعلة، فالتفت إلى بُهلول وقال: خذْ لك، كنا اثنين صرنا ثلاثة، فضحك الهادي حتى استلقى على ظهره.

وكان الهادي يحبُّ العلماءَ وأهلَ الفضل، ويخيِّرهم ويُدني مراتبَهم، استقدم عيسى ابن يزيدَ بن بكرِ بن داب، وكُنيته أبو الوليد، وكان عالماً بأيَّام العربِ وأنسابِهم، صاحبَ فنون، وكان أفضلَ أهلِ الحجاز وأَحلاهم منطقاً، فحظي عنده بحيث أعدَّ له في مجلسه متَّكأ، ولم يفعلْ ذلك بغيره، وكان يقول له: ما استطلتُ بك يوماً وليلةً قطّ، ولا غبتَ عن عيني إلا وتمنَّيتُ أن أراك، ووصله بأموالٍ عظيمة، وكان لا يأكل مع الهادي، فقيل له في ذلك، فقال: ما كنتُ لآكلَ مع مَن لا أغسل يدي عنده، وبلغ الهادي، فأَمر بغسل يدِه دون الناس.

## ذِكرُ وفاةِ الهادي:

واختلفوا فيها على أقوال:

أحدها: أن أمَّه كانت سبباً لهلاكه؛ لأنَّها كانت في أوَّل خلافته تفتات عليه وتستبدُّ بالأمر والنَّهي، فأَرسل إليها يقول: لا تخرجي من خَفَر الكفايةِ إلى بذاذة التبذُّل، فإنَّه ليس من قَدْر النساءِ الاعتراضُ في أمر الملك، وعليك بصَلاتك وسُبحتك وتبتُّلك، ولكِ بعد هذا طاعةُ مثلِك فيما يجب لك.

(١) في (خ): أوصيكم. والمثبت من العقد الفريد ١/ ٢٢٩.
(٢) في العقد الفريد: السيادة.

وكانت المواكبُ تغدو وتروح إلى بابها، فكلَّمته يوماً في حاجةٍ لعبد اللهِ بن مالك، فاعتلَّ بعِلَّة، فلم تقبلْها وقالت: لا بدَّ منها، فغضب وقال: ومالك وابنِ مالكٍ ابنِ الفاعلة؟ برئتُ من قرابتي من رسول اللهِ ﷺ لئن بلغني أنَّه وقف ببابك أحدٌ من قوَّادي أو خاصَّتي، لأضربنَّ عنقه، ولأقبضنَّ مالَه، ما هذه المواكبُ التي تغدو وتروح إلى بابك في كلِّ يوم؟ أما لكِ مِغزلٌ أو مصحفٌ تشتغلين به، أو بيتٌ يصونك! إياكِ ثم إياك. فانزجرتْ.

ثم إنَّه جمع القوَّاد والخواصَّ وقال: أيُّما خيرٌ أنا أو أنتم؟ قالوا: بل أنت يا أميرَ المؤمنين. قال: فأيُّما خير أمِّي أو أمَّهاتكم؟ قالوا: بل أمُّك. قال: فأيُّكم يحدِّث الرجالَ بخبر أمِّه فيقولون: ما صنعتْ أمُّ فلان؟ ما قالت أمُّ فلان؟ قالوا: ما نحبُّ ذلك. قال: فما بالُ رجالٍ يأتون أمِّي فيتحدَّثون بحديثها؟! فلمَّا سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتَّة، فشقَّ ذلك عليها، فاعتزلته وحلفتْ لا تكلِّمه، فما دخلتْ عليه حتى حضرته الوفاة.

وبعث إليها بأَرُزَّة مسمومةٍ وقال: استطبتُها فأرسلتُ إليكِ منها، وكانت عندها جاريةٌ يقال لها: خالصة، فقالت: أَمسكي حتى تنظري؛ فإنِّي أخاف أن يكونَ فيها شيءٌ تكرهينه، فجاءت بكلبٍ فأكل منها، فتساقط لحمُه، فأَرسل إليها بعد ذلك: كيف رأيتِ الأرزَّة؟ فقالت: طيِّبة، فقال: لو أكلتِ منها لاسترحتُ منك، متى أفلح خليفةٌ له أُمّ!

والثاني: أن سببَ وفاته قَرحةٌ خرجت في جوفه فقتلته.

والثالث: قال سعيدُ بن مسلم: كنتُ بين يدي الهادي بعيساباذَ في بستان، فنظر إلى فرَّاش يعلِّق سِتراً في آخر البستان وهو على سُلَّم، وبين يدي الهادي قوس، فأخذ سهماً ففوَّقه، وقال: ترى يصل سهمي إلى الفرّاش؟ فقلت له: أَقسمتُ عليك يا أميرَ المؤمنين ألَّا تفعل، فأبى ورماه، فأَثبت السهمَ بين كتفيه ونشب في الحائط، ومات الفرَّاشُ مكانَه، وأَطرق الهادي وندم، فواللهِ ما برح من مكانه حتى حكَّ ظهرَ قدمه، فطلعتْ في الحال فيه بَثْرة، فتألَّم منها، ففصد فلم يُغنِ عنه الفِصادُ شيئاً، وبقيت مثلَ اللَّوزة، فعاش ثلاثةَ أيامٍ ووقع في الموت، فجاءت الخَيزُران، فأخذت خاتَمَه من يده وهو ينظرُ إليها وليس له حيلة، وقالت: أخوك هارونُ أحقُّ بهذا الأمرِ منك.

والرابع: أنَّه لما جدَّ في خلع هارونَ والبيعةِ لابنه جعفر، خافت الخيزرانُ على هارونَ منه، فدسَّت إليه في جواريها لَمَّا مرض مَن جلس على وجهه وغمَّه حتى مات.

**ذِكرُ قصَّته مع يحيى بنِ خالد:**

لما أَفضت الخلافةُ إلى الهادي أقرَّ يحيى على ما كان يلي هارون، فلمَّا أراد خلعَه والبيعةَ لابنه جعفرٍ وتابعه على ذلك جماعةُ القوَّاد ودسُّوا إلى الشيعة، فلم يرضَوا بذلك، وأَعرض الهادي عن أخيه هارون، فاجتنبه الناس، وكان يحيى وأولادُه لا يفارقون الرشيد، ويقومون بأمر جندِه، فسُعي بيحيى إلى الهادي، وقيل له: إنَّه ليس عليك من أخيك خلاف، وإنَّما يُفسده عليك يحيى بنُ خالد، فغضب وقال: عليَّ به، فودَّع يحيى أهلَه وتكفَّن وتحنَّط وأَوصى، ولم يشكَّ أنه يقتله، فلمَّا دخل عليه قال له: يا يحيى، ما لي ولك! فقال: أنا عبدُك، وهل يكون من العبد لمولاه إلَّا الطاعة! فقال: لِمَ تدخل بيني وبين أخي وتُفسده عليّ؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ومَن أنا حتى أدخلَ بينكما! إنما المهديُّ صيَّرني إليه وأمرني بالقيام بأمره، ثم أمرتَني بذلك، فانتهيتُ إلى أمرك. فطابت نفسُه، وكان هارونُ قد طاب نفساً بالخَلع، وقال ليحيى: أَستريح وآكل الهناءَ والمريء، وأعيش مع بنت عمِّي، وكان يجد بأمِّ جعفرٍ وجداً شديداً، فنهاه يحيى وقال: وأين هذا من الخلافة! لا تفعلْ واصبر.

وكان الهادي أَوصى الحاجبَ ألَّا يدخلَ عليه يحيى إلا آخرَ الناس، فدخل عليه يوماً وعنده عبدُ الصمد بنُ عليٍّ والعباسُ بن محمد وجِلَّة القوَّاد، فأَدناه حتى أجلسه بين يديه وقال: يا يحيى، قد كنت أَظلمك وأَكفرك، فاجعلني في حِلّ، فعجب الناسُ من إكرامه إياه، وقال له: يا يحيى، مَن القائلُ فيك: [من الخفيف]

لو يمسُّ البخيلُ راحةَ يحيى ... لَسخت نفسُه ببذل النَّوالِ
لستُ يوماً مصافحاً كفَّ يحيى ... إنَّني إن فعلتُ أُتلفُ مالي[1]

فقال: تلك راحتُك يا أميرَ المؤمنين.

وكلَّمه الهادي في خلع هارون، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك إن حملتَ الناسَ على

(١) ذكر الطبري في تاريخه ٨/ ٢٠٩ البيت الأول فقط.

نكث الأَيمان هانت عليهم أيمانُهم لابنك، وإن تركتَهم على بَيعة أخيك ثم بايعتَ لابنك بعده كان ذلك آكدَ لبيعته. فقال: صدقتَ ونصحت، ولي في هذا تدبير.

وقيل: إنَّ الهاديَ حبس يحيى بسبب البَيعة لابنه جعفر، فأَرسل إليه يحيى: عندي نصيحة، فاستدعاه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أتظنُّ أن الناسَ يرضون بجعفرٍ وهو صبيٌّ لم يبلغ الحُلُم ؟! أو يرضَون به لصلاتهم وحجِّهم وغزوِهم؟! فقال الهادي: ما أظنُّ ذلك. قال: أفتأمن أن يسموَ إليها كبارُ أهلك وأجلَّتهم مثل فلانٍ وفلان، ويطمعَ فيها غيرُهم فتخرجَ من ولد أبيك؟ فقال: نبَّهتني يا يحيى لأمرٍ لم أتنبَّه إليه. قال يحيى: وقد كان ينبغي لك لو لم يَعقدْ هذا الأمرَ أبوك لأخيك أن تعقدَه أنت؛ لصِغَر سنِّ ابنك، فكيف تَحلُّه وقد عقده أبوك لك؟! ولكن تقرُّه على حاله، فإذا بلغ جعفرٌ أنا آتيك بأخيك هارون، فيخلع نفسَه ويبايع لولدك ويعطيه صفقةَ يمينه، فقال: صدقت، وأَطلقَه.

وقال إسحاقُ الموصلي: لَمَّا لجَّ الهادي في خلع هارونَ أَشار عليه يحيى بنُ خالد بالصيد، وقال له: إذا خرجتَ فاستدفع الأيامَ وأَبعِد. فاستأذن الهادي فأذن له، فمضى على قصر ابن مقاتل، فأَقام أربعين يوماً، فأَنكر الهادي ذلك وفهم، فكتب إليه يستدعيه، فتعلَّل عليه، فنال الهادي منه في مجالسه، فلمَّا طال على هارونَ رجع إلى بغداد، فخافت الخَيزُران عليه، فبعثت ظئراً كانت لهارونَ إلى يحيى، فشقَّت ثيابَها ولطمت وجهَها وبكت، وقالت: تقول لك السيِّدة: اللهَ اللهَ في ابني، لا تقتلْه ودعْه يجيب أخاه إلى ما فيه بقاءُ روحه، فهو أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، فصاح يحيى عليها وقال: قولي لها: ما أنتِ وهذا؟ واللهِ لا يصل إليه حتى أُقتلَ أنا وأولادي وأهلي جميعاً.

وقيل: إنَّ الهادي جلس مجلساً خاصًّا وفيه وجوهُ بني العباس ووزيرُه إبراهيمُ الحرَّاني، فدخل هارونُ فسلَّم عليه وجلس عن يمينه بعيداً عنه، والباقون عن شماله، فأَطرق الهادي ساعةً ثم رفع رأسَه وقال لأخيه: يا هارون، كأني بك تحدِّث نفسَك بتمام الرؤيا وتؤمِّل الخلافة، ودون ذلك خَرْطُ القتاد، فبرك هارونُ على رُكبتيه وقال له: يا موسى، إنَّك إن تجبَّرت وُضعت، وإن تواضعت رُفعت، وإن ظلمتَ حملت[1]،

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٢١١ : ختلت، وفي الكامل ٦/ ٩٨ : قتلت، وفي بعض نسخه ـ كما ذكر المحقق ـ : حكمت.

وإنِّي لأرجو أن يصلَ الأمرُ إليَّ فأُنصف مَن ظلمت، وأَصل مَن قطعت، وأصيِّر أولادَك أعلى من أولادي، وأزوِّجهم بناتي، وأبلغ ما يجب من حقِّ الإمامِ المهدي، فقال له موسى: هكذا الظنُّ بك يا أبا جعفر، ادنُ مني، فقبَّل يده، وأَجلسه معه في فرشته، والتفت إلى الحرَّاني وقال: يا إبراهيم، احملْ إلى أخي ألفَ ألفِ دينار، واعرضْ عليه ما في الخزائن يأخذ منها ما أراد. ولَمَّا قام قال الهادي: قدِّموا دابَّته إلى البساط ليركبَ منه، فلما خرج هارونُ قيل له بعد ذلك: ما كانت الرُّؤيا؟ فقال: قال أبي المهدي: رأيتُ في منامي كأنِّي دفعت إلى موسى قضيباً وإلى هارونَ قضيباً، فأَورق من قضيب موسى أعلاه، وأورق قضيبُ هارونَ من أوَّله إلى آخِره، فسأل المعبِّرين فقالوا: يملكان جميعاً، فأما موسى فتقلُّ أيامه، وأما هارونُ فتطول أيامُه، فلم يلبثْ موسى بعد ذلك إلَّا أياماً ومات، وولي هارونُ فوفى بكلِّ ما قال.

وقيل: إنَّ الهاديَ قد خرج إلى حَديثة الموصل، فمرض بها واشتدَّ مرضُه، فعاد إلى بغداد، وكان قد كتب إلى الآفاق بالقدوم عليه من جميع الدُّنيا إلى عمَّاله وغيرِهم ليبايعَ لابنه جعفرٍ مع مَن بايع من خواصِّه، وكان يحيى محبوساً، فلمَّا ثقل الهادي قال الذين بايعوا لجعفر: إن صار الأمرُ إلى هارونَ أَشار عليه يحيى بقتلنا ولم يستبقِ منَّا أحداً، والرأيُ أن الهاديَ إذا أفاق نستأذنه في قتل يحيى، فاتَّفق موتُ الهادي ولم يجتمعوا به.

وقيل: كانت الخَيزُران حلفت ألَّا تكلِّمَ ابنَها موسى، فلمَّا ثقل أُخبرت به، فقالت: وما أَصنع به؟ فقالت لها خالصة: قومي إلى ابنك، فليس هذا وقتَ تعتُّب ولا تغضُّب، فقالت: إنا كنا نحدَّث أنَّه يموت في هذه الليلة خليفةٌ ويلي خليفةٌ ويولد خليفة، فمات موسى وولي هارونُ ووُلد المأمون.

وفي روايةٍ أن الخيزُران قالت: ما فعل ابني موسى؟ قالوا: مات، فقالت: إنْ كان مات فقد بقي هارون، وكان عندها زينبُ وأمُّ الحسن وعائشةُ وأحرب[1]، والكلُّ بناتُ سليمانَ بن علي، فقالت الخيزرانُ لخالصة: أَحضري أربعَ مئةِ ألف دينارٍ لساداتي، ثم قالت: ما فعل ابني هارون؟ وكان بعيساباذ، قالوا: حلف ألَّا يصليَ الظهرَ إلا ببغداد،

(١) كذا في (خ)، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢١٣ : وأختي.

فقالت: قدِّموا الهوادج، ما يُقعدنا هاهنا وقد مضى ابني! فلحقتْه إلى بغداد.

وقال هرثمةُ بن أَعيَن: كانت لي من الهادي منزلةٌ رفيعة واختصاصٌ كبير، وكنت شديدَ الحذرِ منه، فأدخلني دارَ الحُرَمِ وأخرج كلَّ مَن كان عنده وقال: قم فأَغلق البابَ وعُدْ إلي، فقلت: يريد أن يقتلَني، فقمت فأغلقت البابَ وعدتُ إليه، فقال: يا هرثمة، إنِّي قد تأذَّيت بهذا[1] الملحدِ الكلب يحيى بنِ خالد، ليست له فكرةٌ إلا في تضريب الرجال عليّ، واجتذابِهم إلى صاحبه هارونَ وسَوقِ الخلافة إليه، فاسمع ما أقول، تمضي إلى أخي هارونَ الساعةَ فتذبحه وتأتيني برأسه. قال: فورد عليَّ أمرٌ عظيم، وقلت: أتأذن لي في الكلام؟ قال: قل، قلت: أخوك وابنُ أمِّك وأبيك، وله عهدٌ كعهدك، وكيف تكون صورتُنا عند اللهِ وعند الناس؟! فقال: واللهِ لئن لم تفعل لأضربنَّ عنقَك الساعة، فقلت: سمعاً وطاعة. قال: ثم ترحلُ إلى الكوفة بالعساكر فتضرب أعناقَ آلِ أبي طالبٍ وأعداءنا، وكلُّ آفةٍ ترد علينا من جهتهم، قلت: سمعاً وطاعة. ثم قام فدخل دُورَ النساء، ولم أشكَّ أنه يقتلني ويندب لهذا الأمرِ غيري؛ لِمَا أظهرتُ له من الجَزَع عندما قال عن أخيه، وعزمت أنَّني متى خرجتُ من عنده هربت على وجهي وتركت كلَّ ما أَملكه، وغلبني النُّعاس، فنمتُ على باب المجلسِ موقناً بالهلاك، فما انتبهتُ إلا بخادمٍ قد أيقظني وقال: أَجِب أميرَ المؤمنين، فقلت: إنَّا لله، عمل عليَّ حجَّة ويقول: دخلتَ دارَ حرمي، ويقتلني، وتشاهدت، وإذا بصوتٍ نشأ في الدِّهليز، فوقفت وقلت: واللهِ ما أدخل حتى أسمعَ كلامَ أميرِ المؤمنين، وإذا بامرأةٍ تقول: ويحك يا هَرثمة، أنا الخَيزُران، قد حدث أمرٌ عظيم استدعيتك له، ادخل، فدخلت وإذا بستارةٍ ممدودة، فقالت: هذا موسى ميِّت وراءها، وقد أراحك اللهُ منه وأراح المسلمين، فقلت: وما كان من أمره؟ قالت: إنَّه لما استدعاك وقال لك ما قال من جهة قتلِ ابني والطالبيِّين وحريقِ الكوفة، كنت واقفةً أسمع، فلمَّا دخل، كشفتُ رأسي بين يديه وسألته ألَّا يفعل، فصاح عليّ، فكشفتُ ثديي وبكيت وتضرَّعت، فقال: واللهِ لأقتلنَّك، فقمتُ إلى المحراب أَدعو عليه وأسأل اللهَ أن يريحَ المسلمين منه، فألقى نفسَه على الفراش وطلب ماء، فشرب فشَرِقَ فمات، فقم فأَخبِر يحيى بنَ خالدٍ وخذ

(١) في (خ): هذا، والمثبت من الفرج بعد الشدة ٣/ ١٩.

البيعةَ على الناس. قال: ففعلت، وقرَّبني هارونُ واختصَّ بي.

وقيل: إنَّه أَحضر يحيى وقال له: قد أفسدتَ ما بيني وبين أخي، ووالله لأقتلنَّك، ودعا بالسيف والنِّطع، وأَقعد يحيى للقتل، فقال إبراهيمُ الحراني: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ ليحيى عندي يداً، وأحبُّ أن أكافئَه عليها، فأُحبُّ أن تهبَه لي الليلةَ وترى فيه غداً رأيَك، فقال: وما الفائدةُ في حياة ليلة؟ قال: لعله يحمل صاحبَه على إجابتك، أو يعهد عهدَه إلى مَن يشاء من ولده، فأجابه إلى ذلك. قال يحيى: فقمت من بين السيفِ والنِّطع وما اكتحلتُ بالغُمض إلى السَّحَر وأنا محبوس، فسمعت صوتَ القفل يُفتح، فلم أشكَّ في القتل، وإذا بخادمٍ يقول: أَجِب السيِّدة، فقمت، فإذا بالخَيزُران، فقالت: قد أراح اللهُ من الجبَّار، فبايع لهارون.

وقيل: إنَّ الهاديَ ناظر يحيى في خلع هارون، ويحيى يحلف له والهادي يكذِّبه ويقول: واللهِ لأقتلنَّك، فانصرف يحيى إلى داره، فكلَّم غلامَه في شيء، فردَّ عليه، فلطمه يحيى، فانقطعت حلقةُ خاتمِه وطاح الفَصّ، فتطيَّر يحيى، فدخل عليه يحيى السيَّاري الشاعر، فأَخبره، فأَنشده بديهاً: [من الكامل]

أَخلاكَ من كلِّ الهمومِ سقوطُه ... وأتاك بالفَرَج انفراجُ الخاتمِ
قد كان ضاق ففكَّ حلقة ضيقه ... فاصبر فما ضيقُ الزمانِ بدائم

فما أصبح حتى ارتفعت الواعيةُ بموت الهادي، وولي هارون، فأعطى يحيى السياريَّ مئةَ ألفِ درهم[1].

ويقال: إنه لمَّا ثقل استدعى الخَيزُران، فجاءت، فقبض على يدِها وقال لها: ما قلتُ لك ما قلت إلا صيانةً لك، والليلةَ أموت. قالت: ومن أين لك ذلك؟ قال: بلى، كذا في مولدي، ومات ويدُه في يدها.

ومات بعيساباذَ ليلةَ الجمعةِ النصفَ من ربيع الأوَّل، وقيل: الآخِر، وخلافتُه سَنَةٌ وثلاثةُ أشهر، وقيل: وشهرين وأياماً، ومات وهو ابنُ ستٍّ وعشرين سنة، وقيل: ابنُ[2] ثلاثٍ وعشرين سنة، ودُفن ببستانه بعيساباذَ.

---

(١) الفرج بعد الشدة ١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

وكان له من الولد سبعةُ ذكورٍ وابنتان: جعفر، وهو الذي رشَّحه للخلافة، والعباس، وعبدُ الله، وإسحاق، وإسماعيل، وسليمان، وموسى، ولد بعد وفاةِ الهادي أعمى، وكلُّهم لأمَّهات أولاد، وأمُّ عيسى، كانت عند المأمون، وأمُّ العباس، واسمُها فاطمة، تزوَّجها إسماعيلُ بن موسى.

ووزر له الربيع، ثم إبراهيمُ الحرَّاني، وحجبه الفضلُ بن الربيع، وكان على قضائه أبو يوسف، وعلى شرطته عبدُ الله بن مالكٍ الخُزاعي.

## معاويةُ بن عُبيد الله[١]

ابن يسارٍ الأشعري. وزيرُ المهدي، من أهل طَبَرِية، وقيل: من أهل دمشق. ولَّاه هشامُ بن عبد الملك صدقاتِ عُذْرة، وكان رجلاً صالحاً عابداً، وكان المهدي يعظِّمه ولا يخالفه، إلى أن أبعده عنه، وأقام معزولاً في داره يتعبَّد، وقال لمَّا عزله المهدي ـ وقيل: ابنه ـ: [من البسيط]

لله دهـرٌ أضـعـنـا فـيـه أنـفُـسَـنـا ... بـالـجـهـل لـو أنَّـه لَـمَّـا مـضـى عـادا[٢]

أَفسدتُ دِيني بإِصلاحي خلافتَهمْ ... وإنَّ[٣] إصـلاحَـهـا لـلـدِّيـن إفـسـادا

مـا قـرَّبـوا أحـداً إلَّا ونـيَّـتـهـمْ ... أن يُـعـقِـبـوا قُـربَـه بـالـغَـدر إبـعـادا

وروى الدَّارَقطنيُّ[٤] أنه أَبلى ثلاثَ مصلَّياتٍ وشرع في الرابع موضعَ الرُّكبتين والوجهِ واليدين لكثرة صلاته، وكان له في كلِّ يومٍ كُرٌّ دقيقٍ يتصدَّق به[٥]، فغلا السِّعر، فقال له مولاه: ألا نُنقص منه، فقال: اجعله كُرَّين، فكان له بعد ذلك كلَّ يومٍ كرَّان يخبز فيتصدَّق بهما على المساكين، ولمَّا مات امتلأت جسورُ بغداد، فلم يَعْبُرْ عليها إلا مَن تبع جنازتَه من مواليه واليتامى والأراملِ والمساكين، وصلَّى عليه عليُّ بن

(١) في (خ): سنة. ولعله سهو.

(٢) في (خ): معاوية بن عبد الله بن عبيد الله. وهو خطأ، انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٢٥٩، وتاريخ دمشق ٦٨/ ٣٥١، والمنتظم ٨/ ٣٣٦، والسير ٧/ ٣٩٨.

(٣) في معجم الشعراء ص٣١٥، وتاريخ دمشق ٦٨/ ٣٥٦ : لو أنه بعد النهى عادا.

(٤) في معجم الشعراء وتاريخ دمشق: وكان.

(٥) قال الخطيب في تاريخه ١٥/ ٢٦٠ : قرأت في كتاب أبي الحسن الدارقطني بخطه...، ثم ذكره بسنده.

(٦) قال الذهبي في السير ٧/ ٣٩٨ : الكر يشبع خمسة آلاف إنسان.

المهدي، ودُفن بمقابر قريشٍ وله سبعون سَنَة.

أَسند عن عاصم بنِ رجاء بن حَيْوة، وعن الزُّهري وغيرِهما، وحكى عن المنصور والمَهدي، وقدم مع المهديِّ إلى الشام وطَبَرِستان، رحمه الله تعالى.

## يزيدُ بن حاتِم الأَزديُّ الطائي

والي إفريقية، كان شُجاعاً جوَاداً ممدَّحاً. قال: كنت يوماً واقفاً بباب المنصورِ أنا ويزيدُ بن أسيد السُّلَمي، إذ فُتح بابُ القصر وخرج خادمٌ لأبي جعفر، فنظر إلينا ثم انصرف، فدخل وأخرج رأسَه وقال: [من الطويل]

لَشتَّانَ ما بين اليزيدَين في النَّدى ... يزيدُ سُليمٍ والأغرِّ بن حاتمِ
فلا يحسب التَّمتامُ أني هجوتُه ... ولكنني فضَّلت أهلَ المكارم

فقال له يزيدُ بن أسيد: نعم نعم، على رغم أَنفك وأنفِ مَن أرسلك، فرجع الخادمُ وأبلغها أبا جعفر، فضحك حتى استلقى[1].

وهذا الشِّعر لربيعةَ بنِ ثابت الرَّقِّي يمدح يزيدَ بن حاتمٍ ويهجو يزيدَ بن أسيد، ومنه:

يزيدُ سُليمٍ سالمُ المال والفتى ... فتى الأَزدِ للأموال غير مسالمِ[2]
فهمُّ الفتى الأزديِّ إتلافُ ماله ... وهمُّ الفتى القيسيِّ جمعُ الدراهم
وهمُّ الفتى القيسيِّ دُفٌّ ولعبة ... وهمُّ الفتى الأَزْدي ضربُ الجماجم

وفي يزيدَ بن حاتمٍ قال محمدُ بن عبدِ الله بن مسلم ـ ويقال له: [ابنُ][3] المولى، زعموا أنه مولى [بني] عَمرو[4] بنِ عوفٍ الأنصاريين[5] ـ: [من الكامل]

وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشترَى ... فسواك بائعُها وأنت المشتري
وإذا توعَّرت المسالكُ لم يكن ... منها السبيلُ إلى نَداك بأَوعرِ

(١) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ (مخطوط).

(٢) في (خ): مسلم. والمثبت من الأغاني ١٦/ ٢٥٤، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٢٣.

(٣) ما بين حاصرتين من المصادر، انظر معجم الشعراء ص٣٤٢، وشرح المرزوقي ٤/ ١٧٦١، وتاريخ دمشق ١٨/ ٢٥٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٢٥. والأبيات في زهر الآداب ٢/ ١٠٧٨ منسوبة لابن المبارك.

(٤) في (خ): عمر، والمثبت من معجم الشعراء وتاريخ دمشق، وما بين حاصرتين من معجم الشعراء.

(٥) في (خ): الأنصاري، والمثبت من تاريخ دمشق.

وإذا صنعتَ صنيعةً أتممتَها بيدين ليس نَداهما بمكدَّر
وإذا هممتَ لمُعْتفيك بنائلٍ قال النَّدى ـ فأطعتَه ـ لك أكثرِ
وإذا الفوارسُ عدَّدت أبطالَها عدُّوك في أبطالهم بالخِنْصِر
يا واحدَ العربِ الذي ما إنْ لهمْ من مذهبٍ عنه ولا من مَقْصَر[1]

وقصده ربيعةُ المذكور، فاشتغل عنه، فخرج وهو يقول: [من الطويل]

أراني ولا كُفرانَ لله راجعاً بخُفَّي حُنينٍ من نَوال ابنِ حاتمِ

فبلغ يزيد، فردَّه وملأ خُفَّيه دراهم، فقال قصيدتَه المشهورة: [من الطويل]

بكى أهلُ[2] مصرَ بالدموع السَّواجمِ غداةَ غدا عنها الأغرُّ بن حاتمِ

ومات يزيدُ بإفريقيةَ سنةَ سبعين ومئة، واستخلف عليها ولدَه داود، فعزله هارونُ في سنة اثنتين وسبعين وولَّاها عمَّه رَوح بنَ حاتم.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) قال المرزوقي: المقصر: الكف والإمساك.

(٢) في (خ): باهل، والمثبت من العقد الفريد ١/ ٢٨٧.